الاحتلال من الدخول الى قرية سردا، لكنهم فشلوا في ذلك بعدما دخل الجيش منزل الشهيد حلبي وصادروا حاسوبه الشخصي. وبينما كان العدو يفرغ حقده ضد الفلسطينيين، نشرت فاطمة الزهراء، أخت الشهيد حلبي، صورة شقيقها على موقعها على الفايسبوك، معلقة «حبيبي يا أخوي يكسر إيدهم»، وقبلها تعليق «وصار اسمي أخت الشهيد، الله يرحمك يا أخوي».

هكذا، وبينما كانت الضفة تشتعل، كان هناك شهيد آخر يودع حبيبته، ويخبرها عن نيته تنفيذ عملية طعن والاستشهاد؛ فعند ساعات الفجر الأولى، أعلنت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن تنفيذ عملية طعن في محطة وقود في القدس، وإصابة مستوطن بجراح متوسطة واستشهاد منفذ العملية. وقد تبين لاحقاً أن منفذ العملية هو فادي علون، ابن منطقة العيسوية في القدس.

كان علون قد كتب على صفحته على الفايسبوك «اللهم إني نويت الشهادة أو النصر في سبيل الله. اللهم اغفر لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. نويت التوبة بإذن الله والشهادة الله أكبر». وقد أخبر علون حبيبته في حديث خاص بأنه صلّى الفجر وأعلن توبته ونوى تنفيذ عملية طعن. طلبت منه الفتاة البقاء في المنزل والتفكير بوالدته. أنهى علون حديثه قائلاً «بدي أروح يلا سلام».

بعد تنفيذه عملية الطعن، أطلق جنود الاحتلال سبع رصاصات على الشهيد الذي سرعان ما ركض المستوطنون باتجاهه وبدأوا بركل جثته وهم يشتمونه صارخين «عرافيم» عربي).

وأعلن جيش الاحتلال أمس، رفضه تسليم أهل الشهداء جثامين أبنائهم. كما حاول جنود العدو أمس اقتحام منزل علون في العيسوية، ما أسفر عن إصابة مراسلة قناة «الميادين» الزميلة هناء محاميد بقنبلة صوتية في وجهها.

وفي السياق نفسه، اندلعت المواجهات أمس في كل مناطق الضفة؛ وأشدها كانت في مخيم جنين الذي حاول جنود الاحتلال اقتحامه للقبض على الأسير «الحمساوي» المحرر قيس السعدي الذي نجح في الهرب. وفي كلمة مصورة له، طلب السعدي من الأجهزة الأمنية الفلسطينية إطلاق سراح المقاومين المحتجزين لديها والكف عن مطاردتهم.

ليلاً، شهدت مدينة القدس ورام الله مواجهات بين جنود الاحتلال وفلسطينيين. وبحسب إحصائية الهلال الأحمر الفلسطيني، فإن طواقمه عالجت في الضفة والقدس 395 إصابة خلال الـ 24 ساعة الماضية، 30 إصابة بالرصاص الحي، 118 إصابة بالرصاص المطاطي، و234 حالة اختناق من قنابل الغاز المسيلة للدموع، و11 إصابة بالضرب المبرح، كما تعرضت سيارتان تابعتان للهلال الأحمر لإطلاق نار من قبل جنود العدو الإسرائيلي. وفي وقت متأخر من ليل أمس، حذّر الاحتلال المستوطنين من التوجه الى المدينة القديمة في القدس وذلك بعد ورود « إنذارات باحتمال وقوع عمليات».

هكذا أظهرت الأحداث في الأيام الماضية، أن الانتفاضة المقبلة سيكون وقودها شبان لم يعيشوا أو يعرفوا ما جرى عام 2000. هذه المرة ستلاقي انتفاضة الأقصى الثانية صواريخ من غزة، لتعيد المقاومة ربط ما حاول الاحتلال والسياسة تفريقه الضفة الغربية بالقطاع المحاصر.

سياسي والقتل العبثي للفلسطينيين ومصادرة الأراضي وهدم البيوت، مع غياب أي أفق وأمل، فإن الانتفاضة الثالثة قد تنشب بالفعل.

كذلك، حذرت صحيفة «معاريف» من «الواقع الأليم واشتعال الضفة الغربية والقدس»، كما حذرت من الانشغال في تسمية ما يجري إن كانت انتفاضة جديدة أم لا، مشيرة إلى أن المهم في كل ذلك أن هناك «علامات واضحة لانتفاضة فلسطينية جديدة، والوضع قابل للانفجار السريع».

وكتب محلل الشؤون الأمنية في الصحيفة، يوسي ميلمان، أن «حكومة إسرائيل برغم كل ما يجري، تتمسك كالمعتاد بالوضع الراهن كما هو، ولا تتحمل المسؤولية، وفي أحسن الأحوال تعمل على تنفيذ حلول باتت شبيهة بدواء الأسبرين لمرضى السرطان، فزيادة نقاط التفتيش والحواجز ومنع مرور المركبات الفلسطينية على طرق الضفة ليست إلا حلولا تكتيكية لا تؤدي إلى نتائج استراتيجية».

أيضا، كتب آفي يسسخاروف في موقع «تايمز أوف إسرائيل»، مرجحا أن الهجمات الأخيرة لن تتوقف قريبا، لأن «نجاح منفذي الهجمات، يمثل إلهاما للمزيد من الشبان الفلسطينيين لتنفيذ عمليات مماثلة»، وقال إن الدافعين الرئيسيين لسكان القدس والضفة لشن هجمات، هما «اليأس من الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الأراضي الفلسطينية، وأيضا ما يرونه من أعمال إسرائيلية على شاشات التلفزة تجاه المسجد الأقصى»، ولكنه رفض الربط الذي ساد في الأيام الماضية في إسرائيل، بين خطاب رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس وما سموه تحريض السلطة، والاحتجاجات الفلسطينية والهجمات.

تحليل إخباري

عمليتا نابلس والقدس: التفاف على التنسيق الأمني وإسقاط الردع الإسرائيلي

علي حيدر

ليس مهماً إلى أي فصيل فلسطيني مقاوم ينتمي منفذو عمليتي نابلس والقدس، وبالقدر نفسه لا يهمّ هل أتت العمليتان ترجمة لقرار صادر من قيادة عليا، ونفذها مقاومون منتفضون على واقع الإحباط العربي، أو كانتا بقرار ذاتي تخطيطاً وإعداداً وتنفيذاً. في كل الأحوال، ما حدث يأتي ترجمة لقرار الشعب الفلسطيني رفض الرضوخ للاحتلال والتمرد على كل القيود المفروضة عليه من الداخل والخارج، وتنطويان على رسائل موجهة نحو عدد من الجهات.

تجاوزت العملية الأولى في مستوطنة «إيتمار» قرب نابلس إجراءات التنسيق الأمني بين أجهزة السلطة والأجهزة الأمنية الإسرائيلية. وتجاوزت الثانية (في القدس) كل الإجراءات الوقائية والقمعية لأجهزة العدو. وبرغم الأثمان الباهظة المعروفة مسبقاً على عائلات هؤلاء وذواتهم، فقد قرروا تجسيد إرادة شعبهم فعلاً مقاوماً بطولياً، تجلى بتنفيذ احترافي، وفي توقيته وأسلوبه ومكانه ونتائجه.

ومع أن العمليات لم تتجاوز، حتى الآن، الطابع الموسمي والتذكيري الذي يراهن العدو على احتوائه وتحمل مفاعيله، فإن تواليها وتزامنها مع حراك فلسطيني غاضب، وتوقيتها أيضاً، كلها عوامل أثارت في وعي القادة الإسرائيليين ووسائل إعلامهم قلقاً من أن يكون ما يجري بداية انتفاضة ثالثة. لذلك ينصب الجهد الإسرائيلي الآن على الحؤول دون تواصل هذا النوع من العمليات وتحولها إلى ظاهرة تلتف على التنسيق الأمني. من الجهة الأخرى، ما جرى يمثل صفعة لكل محاولات الإحباط المدروسة والموجهة إلى عقول وقلوب الشعب الفلسطيني وخاصة فئة الشباب، وهو يؤكد إخفاق قوة الردع الإسرائيلية، التي عمل العدو على تعزيزها بالقمع واستهداف المقاومين وعائلاتهم وأقربائهم.

> مشكلة الإسرائيلي أنه بالغ في حشر الطرف الفلسطيني الرسمي والشعبي

من جهة أخرى، ينبغي تسجيل اعتراف لأجهزة التنسيق الأمني مع أجهزة العدو بـ«إنجازاتها» التي تمكنت بها من تخفيض مستوى العمليات إلى الدرجة التي بات العدو معها يراهن على إمكانية الجمع بين تكريس الاحتلال وتوسيع الاستيطان والإمعان في القمع، وبين تحقيق الأمن، وإن حدث «خرق» هنا أو هناك، فإنه لا يزال ضمن السقف المحمول. وبرغم أن عمليات القدس والضفة لم تبلغ حتى الآن مستوى تحولها إلى عبء أمني على صانع القرار في تل أبيب، فإن مؤشراتها تؤكد وجود أرضية لتحرك مدروس ومخطط يمكن أن يؤدي إلى إسقاط المعادلة القائمة، وينجح الشعب الفلسطيني في مفاجأة الصديق والعدو، كما حدث أكثر من مرة سابقاً.

ومما يضفي على تلك العمليات قيمة إضافية أنها تزامنت مع سياق انسداد آفاق التسوية وانفتاح المنطقة على مسارات لا تزال آفاقها ونتائجها غير واضحة.

ينبغي التشديد على حقيقة أن العمليتين نفذتا في الساحات التي يفترض أنها ينبغي أن تكون من ساحات المقاومة الفعالة، وخاصة أن تكريس احتلال الضفة والقدس وتهويدهما يحتلان رأس قائمة أهداف العدو الاستراتيجية. وهو يواصل تنفيذ مخططه في ظل غياب وتآمر عربي، ويمكن القول، أيضاً، إنه يستخدم عملية التسوية كغطاء سياسي للاستراتيجية التي يعتمدها.

وفي ما يتعلق بالخاصية المكانية لعملية القدس، لفتت صحيفة «إسرائيل اليوم» المقربة من رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، إلى أن «ما جرى على طريق حائط المبكى، هو عملية استراتيجية وليس أقل من ذلك». وقارنت الصحيفة بين هذه العملية وبين ما جرى في المنطقة نفسها خلال سنوات 1920 و1921 و1929، محذرة من أن هذه العملية «يمكن أن تردع اليهود عن زيارة أقدس مقدساتهم في الهوية والذاكرة اليهودية والقلب».

وأضافت: «هذه المسألة باتت تحدث في جبل الزيتون، في أكبر وأقدم مقبرة يهودية في العالم، حيث يخاف اليهود من زيارة قبور أعزائهم هناك». كما رأت «إسرائيل اليوم» أن العملية التي جرى تنفيذها في القدس جرت أمام الكاميرات التي توثق كل حركة على هذا المسار، وهذه الحقيقة وحدها «تعلمنا أنه تم فقدان الردع، وأنه حدث تشوش ما. وإذا لم يتم عمل شيء استثنائي وبسرعة، فإن مصير حائط المبكى سيكون مثل مصير جبل الزيتون».

الأمر نفسه صدر على لسان رئيس حزب «إسرائيل بيتنا»، أفيغدور ليبرمان، الذي رأى أن العمليات الفلسطينية جاءت نتيجة فقدان الردع. لكن مشكلة الإسرائيلي أنه بالغ في حشر الطرف الفلسطيني الرسمي والشعبي، وجعل الجماهير أمام خيار وحيد هو خيار المقاومة. وإن كان في مرحلة من المراحل قد يكون بعض الفلسطينيين نخيلوا وجود ظروف تسمح بتحقيق حد أدنى ما يخفف معاناة الشعب، لكن الوقاحة التي أظهرتها إسرائيل، على ألسنة قادتها، وتحديداً على لسان رأس الهرم السياسي نتنياهو، تؤكد حقيقة للشعب الفلسطيني هي أنه لا بديل من المقاومة إلا المقاومة نفسها، وخاصة أن إسرائيل تحتل الأرض، وانتزعت من السلطة تنازلاً عن غالبية أرض فلسطين، وتعتقل الآلاف من الشباب، وتمارس العدوان والتوسع الاستيطاني دائماً، ثم بعد ذلك تتهم السلطة بأنها لا تريد المفاوضات من أجل تقديم المزيد من التنازلات!

والذنب الذي ارتكبته السلطة، أنها تطالب بما أبقته «اللاءات» الإسرائيلية التي طالت الأرض والإنسان والمياه والسماء وجوف الأرض: لا لدولة فلسطينية مستقلة تتمتع بالسيادة على أرضها وعلاقاتها الخارجية، ولا لعودة اللاجئين، ولا للانسحاب من غور الأردن الذي يشكل البوابة الشرقية الوحيدة للدولة الفلسطينية المفترضة، ولا لتقسيم القدس، ولا لاقتلاع كل المستوطنات (المطالبة بضم الكتل الاستيطانية الكبرى)، إضافة إلى المطالبة بحق سلاح الجو الإسرائيلي بسماء الضفة، أو الدولة الفلسطينية المفترضة... وأيضاً: لا لاستخراج المياه من آبار الضفة لأنها تؤثر في الثروة المائية في إسرائيل. وبعد كل ذلك، تتهم إسرائيل السلطة بأنها ترفض الاعتراف بيهودية إسرائيل في أي اتفاق نهائي مفترض، ثم تأتي أجهزة السلطة وتعتقل الشباب الفلسطينيين الذين يحاولون أو يخططون أو يعدّون العدة لمقاومة هذا العدو!

«السيناريو الكابوس» لقيادة العدو يتمحور في القلق من اتساع نطاق المجموعات الشبابية المحدودة العدد التي تحرص على ألا تتواصل مع بعضها البعض، وتلعب هي نفسها دور صانع القرار، والمخطط والمستطلع والتأمين اللوجستي والمنفذ، وكل ذلك يسلب أجهزة العدو، وأجهزة التنسيق الأمني القدرة على اختراق خطوط التواصل والتأثير في قرار هؤلاء، لذا لا يعني الحديث عن انتفاضة ثالثة بالضرورة تكرار أساليب المراحل السابقة نفسها، فلكل مرحلة تكتيكاتها التي تمكن مقاوميها من توجيه الضربات المؤلمة وتوفير مظلة تسمح لها بالاستمرار.